أثر اللسانيات في المنهج النقدي البنيوي، دراسة وتحليل

[1]إسراء إبراهيم محمد سبع* ، [2]أنسام عبد حسن
[1، 2] جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية (العراق)

The Impact of Linguistics on the Structuralist Critical Approach: A Study and Analysis

[1] Israa Ibrahim Mohammed *, [2] Ansam Abd Hassan
[1] ORCID: , [2] ORCID:
[1,2] University of Diyala – College of Education for Human Sciences (Iraq),
[1] israa.ar.hum@uodiyala.edu.iq
[2] ansam.ar.hum@uodiyala.edu.iq

تاريخ الاستلام: 3 / 10 /2025 تاريخ القبول: 01 / 11 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 04 / 2026

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة أثر اللسانيات في تشكيل المنهج النقدي البنيوي، مع التركيز على استقباله وتطبيقه في النقد العربي الحديث. ويهدف البحث إلى تبيان العلاقة بين اللسانيات والبنيوية، واستكشاف أبرز المفاهيم اللغوية التي أسهمت في تأسيس أدوات التحليل البنيوي للنصوص الأدبية.

بدأ البحث بمقدمة ، ثم المبحث الأول ومعنون ب(اللسانيات وتطرها) ، ويشتمل على تطور اللسانيات بعد سوسير ومفهوم المنهج البنيوي ،وأثر المنهج البنيوي اللساني في تحليل البنية الداخلية، الرموز، الإيقاع، والتركيب الدلالي للنصوص، ثم نشأة البنيوية النقدية عند الغرب ثم أثر اللسانيات في النقد البنيوي العربي وكيف تكيفت مع خصوصية النص العربي، مما جعل التحليل أكثر فاعلية ودقة، والمنهج البنيوي اللساني أثبت فعاليته في تحليل النصوص الشعرية والنثرية، مع إمكانية تعميمه على الأدب العربي الحديث، ثم العلاقة بين اللسانيات والبنيوية وأثرها في تشكيل المنهج البنيوي.

أما المبحث الثاني فكان التطبيق التحليلي للمنهج البنيوي اللساني لثلاث قصائد مختارة لبدر شاكر السياب من خلال الوقوف على مستويات التحليل البنيوي من خلال التركيب الصوتي والأيقاعي والتركيبي والدلالي للقصيدتين. ثم انتهى البحث بخاتمة لأبرز نتائج البحث .

الكلمات المفتاحية: اللسانيات – المنهج النقدي – البنيوي .

Abstract:

This study examines the impact of linguistics on shaping the structuralist critical method, with a focus on its reception and application in modern Arab criticism. The research aims to clarify the relationship between linguistics and structuralism, and to explore the most prominent linguistic concepts that contributed to establishing the tools for structural analysis of literary texts.

* المؤلف المرسل.
* Corresponding author.

The study begins with an introduction, followed by the first chapter entitled "Linguistics and Its Developments", which includes the development of linguistics after Saussure, the concept of the structuralist method, and the influence of the linguistic structuralist approach on analyzing the internal structure, symbols, rhythm, and semantic composition of texts. It then addresses the emergence of critical structuralism in the West, followed by the impact of linguistics on Arab structuralist criticism and how it adapted to the specificity of Arabic texts, thereby making analysis more effective and precise. The linguistic structuralist method has proven its effectiveness in analyzing both poetic and prose texts, with the potential to generalize it to modern Arabic literature. The chapter concludes by examining the relationship between linguistics and structuralism and its role in shaping the structuralist method.

The second chapter provides an analytical application of the linguistic structuralist method to two poems by Badr Shakir al-Sayyab, by examining the levels of structural analysis through the phonetic, rhythmic, structural, and semantic composition of the three poems. The study concludes with a summary highlighting the most significant findings.

Keywords: Linguistics – Critical Method – Structuralism

مقدمة:

يُعَدّ القرن العشرون منعطفًا حاسمًا في تطوّر العلوم الإنسانية، إذ شهد ولادة مناهج جديدة في دراسة الأدب والفكر واللغة.

وتُعدّ اللسانيات من أبرز الحقول المعرفية التي أثّرت بعمق في مسارات النقد الأدبي المعاصر، ولا سيما في سياق تشكّل المنهج البنيوي الذي استند إلى مبادئ اللسانيات الحديثة في قراءة النصوص الأدبية قراءة داخلية صارمة. فالبنيوية لم تكن مجرّد اتجاه نقدي معزول، بل مثلت تحوّلاً إبستمولوجيًا انطلق من مقولات فرديناند دي سوسير حول اللغة بوصفها نسقًا قائمًا على العلاقات، وليس مجرد تراكم من العلامات. ومن ثمّ، فقد أسهمت اللسانيات في إعادة تعريف النص الأدبي باعتباره بنية دالّة لها قوانينها الخاصة التي تحكمها شبكة من العلاقات الداخلية، مما وفّر للنقد الأدبي أدوات منهجية جديدة، وأسس لرؤية علمية تتجاوز الانطباعية والذوقية التقليدية.

وقد كان لعلم اللسانيات الحديثة، الذي أسّس قواعده العالم السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913)، أثر بالغ في تشكّل المنهج البنيوي في النقد الأدبي. فاللسانيات قدّمت أدوات ومفاهيم مركزية مثل: العلامة اللغوية، والعلاقات التركيبية والاستبدالية، وثنائية الدال والمدلول، التي انتقلت مباشرة إلى النقد البنيوي وأصبحت أساسًا في قراءة النص الأدبي. فالبنيوية لم تنشأ من فراغ، بل تَغذّت على منجزات اللسانيات والأنثروبولوجيا والفلسفة الحديثة، حتى غدت في ستينيات القرن الماضي منهجًا مهيمنًا في أوروبا، ثم انتقلت إلى النقد العربي في سبعينيات القرن ذاته عبر الترجمة والاحتكاك بالمناهج الغربية.

وتبرز أهمية هذا البحث في أنه يسعى إلى الكشف عن أثر اللسانيات في المنهج البنيوي، من حيث المفاهيم والأسس النظرية، وتجليات هذا الأثر في النقد العربي، وذلك عبر دراسة تحليلية موسّعة تدمج بين الجانب النظري والتطبيقي. ومن هنا، يهدف البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية: كيف أسهمت اللسانيات في صياغة مرتكزات المنهج البنيوي ، وما انعكاسات ذلك على النقد العربي الحديث؟

بدأ البحث بمقدمة ، ثم المبحث الأول ومعنون ب(اللسانيات وتطرها) ، ويشتمل على تطور اللسانيات بعد سوسير ومفهوم المنهج البنيوي ،وأثر المنهج البنيوي اللساني في تحليل البنية الداخلية، الرموز، الإيقاع، والتركيب الدلالي للنصوص، ثم نشأة البنيوية النقدية عند الغرب ثم أثر اللسانيات في النقد البنيوي العربي وكيف تكيفت مع خصوصية النص العربي، مما جعل التحليل أكثر فاعلية ودقة، والمنهج البنيوي اللساني أثبت فعاليته في تحليل النصوص الشعرية والنثرية، مع إمكانية تعميمه على الأدب العربي الحديث، ثم العلاقة بين اللسانيات والبنيوية وأثرها في تشكيل المنهج البنيوي.

أما المبحث الثاني فكان التطبيق التحليلي للمنهج البنيوي اللساني لقصيدتي لبدر شاكر السياب من خلال الوقوف على مستويات التحليل البنيوي من خلال التركيب الصوتي والأيقاعي والتركيبي والدلالي للقصيدتين. ثم انتهى البحث بخاتمة لأبرز نتائج البحث .

المبحث الأول

اللسانيات وتطورها

تعود البدايات التأسيسية للدرس اللساني الحديث إلى محاضرات فردينان دي سوسير (1916) التي جمعها تلامذته في كتابه محاضرات في علم اللغة العام. فقد أحدث هذا الكتاب قطيعة إبستمولوجية مع الدراسات اللغوية التقليدية التي كانت تركّز على التاريخ والمقارنة بين اللغات، إذ اقترح سوسير دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، باعتبارها نسقًا من العلامات يخضع لقوانين داخلية مستقلة عن العوامل الخارجية. (1) ،وقد أسّس سوسير ثنائية محورية بين اللغة (Langue) بوصفها نسقًا اجتماعيًا ثابتًا، والكلام (Parole) باعتباره الاستعمال الفردي لهذا النسق، مبيّنًا أن وظيفة التحليل العلمي ينبغي أن تنصب على اللغة بما هي نظام جماعي. كما قدّم مفهوم الدال (Signifiant) والمدلول (Signifié)، مبرزًا العلاقة الاعتباطية بينهما، وهو ما جعل العلامة اللغوية كيانًا متماسكًا يتحدد ضمن شبكة العلاقات الداخلية بين العلامات الأخرى.(2)

1. تطور اللسانيات بعد سوسير

بعد سوسير، شهدت اللسانيات تحولات معرفية انعكست على النقد البنيوي، إذ ظهرت مدارس حديثة أسهمت في تطوير أدوات التحليل النصي:

أ- المدرسة التوليدية

أسسها ناعوم تشومسكي في ستينيات القرن العشرين، وركزت على اللغة باعتبارها قدرة عقلية فطرية لدى الإنسان، مع التركيز على القواعد التوليدية التي تحدد الإمكانيات اللغوية الممكنة للجملة. وقدمت هذه المدرسة تصورًا عن النصوص باعتبارها نظمًا متكاملة يمكن استنباط بنيتها عبر قواعد منتظمة.(3)

ب- المدرسة التداولية

اهتمت بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي والعملي، حيث يمثل الكلام الفعلي والتواصل محور التحليل. وقد أسهمت المدرسة التداولية في النقد البنيوي عبر فهم النصوص كجزء من شبكة علاقات اجتماعية ومعرفية، وليس ككيان معزول.(4)

ج- السيميائية

تمثل امتدادًا للدرس السوسيري، حيث توسعت دراسة العلامة لتشمل الرموز والإشارات وأنماطها في النصوص. وقدّم رواد السيميائية مثل رولان بارت مفهوم النص بوصفه نظامًا من العلامات المتكاملة التي تنتج المعنى ضمن علاقاتها البينية.(5)

د- التفكيكية

ارتبطت بالتفكيك النصي كما قدمها جاك دريدا، بالتركيز على إظهار التناقضات والفراغات الدلالية داخل النصوص، واعتماد التحليل البنيوي لفك التشابك بين العلامات والمعاني، بما يمكّن النقاد من كشف البنى الخفية للنص.(6)

فاللسانيات علم يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها، بعيداً عن الاعتبارات التاريخية والاجتماعية التي كانت تطغى على الدراسات اللغوية القديمة. ويُعدّ دي سوسير المؤسس الحقيقي لهذا العلم، إذ قدّم في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام" (1916) تصوراً جديداً للغة بوصفها نسقاً من العلامات يرتبط فيها الدال بالمدلول عبر علاقة اعتباطية.(7)

وقد ميّز سوسير بين مستويين:

اللغة (langue): نظام جماعي ثابت يخضع لقواعد عامة.

الكلام (parole): الاستعمال الفردي للغة في مواقف معينة.

هذا التمييز كان أساساً للتمييز بين البنية (النظام) والتجلي (الاستخدام)، وهو ما تبنته البنيوية لاحقاً في تحليل النصوص الأدبية.(8)

كما أضاف سوسير مفهوماً محورياً هو العلاقة بين المحور التركيبي (اختيار الكلمات ضمن الجملة) والمحور الاستبدالي (اختيار المفردات الممكنة بديلاً)، وقد استثمر النقاد البنيويون هذا المفهوم في الكشف عن دينامية النص الأدبي.(9)

فالمنهج البنيوي هو اتجاه نقدي يقوم على قراءة النصوص الأدبية باعتبارها بنى متكاملة ذات نظام داخلي، يعتمد على دراسة العلاقات بين مكوّنات النص أكثر من التركيز على المحتوى الخارجي أو السياق التاريخي. وقد استند البنيويون إلى المبادئ اللسانية التي وضعها سوسير، فاعتبروا أن النص الأدبي يشبه اللغة بوصفه نسقًا داخليًا من العلامات والعلاقات التي تحدد معانيه.(10)

هكذا، أصبح النقد البنيوي وسيلة لتحليل النصوص دون اللجوء إلى العوامل الشخصية للمؤلف أو التقدير الذوقي للنص.(11)

2- البنية والنسق في النصوص

يعتبر مفهوم البنية من الركائز الأساسية للمنهج البنيوي، إذ يُنظر إلى النص كوحدة مترابطة تتكون من عناصر تتفاعل وفق قوانين داخلية. ويعتمد النقد البنيوي على تحليل النسق الداخلي الذي يربط بين الأحداث، الشخصيات، الصور، والأساليب اللغوية.(12)

ويُستخدم هذا المفهوم للكشف عن التنظيم الداخلي للنص، بحيث يمكن دراسة الانزياح أو التكرار أو التضاد بين العناصر للوصول إلى فهم أعمق للمعنى.(13)

3- الانزياح والأسلوب

يولي النقد البنيوي اهتمامًا لمفهوم الانزياح الذي يشير إلى تباين النصوص عن القوالب النمطية أو التوقعات السائدة.

فالانزياح هنا يُفهم بوصفه أداة تحليلية للكشف عن الخصائص الإبداعية للنصوص، سواء في الشعر أو السرد.(14)

ومن جهة أخرى، يُدرس الأسلوب بوصفه تعبيرًا عن البنية الداخلية للنص، وليس مجرد طراز جمالي، إذ يساعد في تحديد التقنيات التي ينشأ من خلالها المعنى ضمن نسق النص. (15)

4- العلاقات الداخلية بين مكونات النص

يُركز النقد البنيوي على دراسة العلاقات بين العناصر المختلفة للنص مثل الشخصيات، الحبكة، الفضاء، والزمن. فالنقد البنيوي يرى أن المعنى يتكوّن من شبكة علاقات متبادلة، وليس من مكونات منفصلة.(16)

وهذا النهج يُمكّن النقاد من رصد الأنماط المتكررة، والتمييز بين المحاور الأساسية والثانوية، وتحليل كيفية تفاعل هذه المكونات لإنتاج النص بوصفه وحدة متكاملة. (17)

تُعدّ اللسانيات من أبرز الحقول المعرفية التي أثّرت بعمق في مسارات النقد الأدبي المعاصر، وخاصة في سياق تشكّل المنهج البنيوي الذي استند إلى مبادئ اللسانيات الحديثة في قراءة النصوص الأدبية قراءة داخلية صارمة. فالبنيوية لم تكن مجرد اتجاه نقدي معزول، بل مثلت تحوّلاً إبستمولوجيًا انطلق من مقولات فردينان دي سوسير حول اللغة بوصفها نسقًا قائمًا على العلاقات بين العلامات، وليس مجرد تراكم منها.(18)

ومن ثم، أسهمت اللسانيات في إعادة تعريف النص الأدبي باعتباره بنية دالة لها قوانينها الخاصة، وهي شبكة من العلاقات الداخلية، مما وفّر للنقد الأدبي أدوات منهجية جديدة وأسس لرؤية علمية تتجاوز الانطباعية والذوقية التقليدية.(19)

وفي هذا السياق، تبرز أهمية البحث في وظيفة اللسانيات في المنهج البنيوي من حيث كونها مدخلاً لفهم كيفية انتقال المفاهيم اللسانية إلى حقل النقد، وكيف أسهمت في بلورة أدوات التحليل النصي الحديثة. كما تكمن أهمية الدراسة في رصد صدى هذه التحولات في النقد العربي المعاصر، من خلال جهود نقاد بارزين سعوا إلى تبيئة المصطلح اللساني وتطويعه في قراءة النصوص الشعرية والسردية.(20)

ومن هنا، يهدف البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية: كيف أسهمت اللسانيات في صياغة مرتكزات المنهج البنيوي، وما انعكاسات ذلك على النقد العربي الحديث؟

1. نشأة البنيوية النقدية عند الغرب

ظهرت البنيوية في النصف الثاني من القرن العشرين في فرنسا، متأثرةً باللسانيات السوسيرية والأنثروبولوجيا البنيوية عند كلود ليفي ستروس، ثم انتقلت إلى ميدان النقد الأدبي مع رولان بارت وتزفيتان تودوروف وجيرار جينيت.

ركزت البنيوية على أن النص الأدبي لا يُفهم من خلال مؤلفه أو سياقه الاجتماعي، بل من خلال بنيته الداخلية وعلاقات عناصره بعضها ببعض. ومن هنا جاءت فكرة "النص كبنية مغلقة" قابلة للتحليل الموضوعي.(21)

واعتمد النقاد البنيويون على أدوات لسانية واضحة، مثل: الدال والمدلول، البنية الصوتية، التركيب النحوي، الوظائف اللغوية (عند جاكبسون)، إضافة إلى السرديات (عند جينيت وتودوروف).(22)

العلاقة بين اللسانيات والبنيوية وأثرها في تشكيل المنهج البنيوي.

من الواضح أن اللسانيات وفّرت للبنيوية جهازها المفاهيمي والإجرائي، فكل التحليلات البنيوية تكاد تنطلق من مفاهيم لسانيات دي سوسير، ثم تتطور عبر إضافات جاكبسون في نظرية التواصل والوظائف اللغوية، وصولاً إلى تطبيقات السرديات.

فالعلاقة بين العلمين علاقة تأسيسية: اللسانيات وضعت النظرية، والبنيوية طبقتها في مجال النقد الأدبي. وكما يقول الناقد صلاح فضل: *"إن البنيوية في حقيقتها ليست سوى استثمار نقدي لمقولات اللسانيات الحديثة." (23)

و اللسانيات أثر في تشكيل المنهج النقدي البنيوي من خلال محاور أربعة:

أولاً: ثنائية اللغة والكلام و انعكاسها في النقد

يُعدّ التمييز بين اللغة والكلام (langue/parole) من أبرز المفاهيم التي قدمها فردينان دي سوسير. فاللغة هي نظام اجتماعي ثابت من العلامات التي يرتبط فيها الدال بالمدلول عبر علاقة اعتباطية، وتعتبر بنية مشتركة بين جميع الأفراد داخل المجتمع. أما الكلام فهو الاستخدام الفردي لهذا النظام في سياقات معينة، ويظهر من خلال النصوص الأدبية أو المحادثات اليومية. (24)

ولقد اعتمد النقد البنيوي هذا التمييز لاعتبار النصوص الأدبية بنى مستقلة قائمة بذاتها. ففي تحليل الشعر مثلاً، يتم التركيز على العلاقات الداخلية بين الكلمات والتراكيب الصوتية والنحوية، دون الانطلاق من حياة المؤلف أو ظروفه الاجتماعية. (25)

وفي الشعر الفرنسي الحديث، يمكن تحليل نص رمل للشاعر بول فاليري، حيث يظهر التركيب الدقيق للكلمات والتكرارات الصوتية التي تخلق نسقاً مغلقاً يمكن دراسته بشكل مستقل عن السياق الخارجي.

في الشعر العربي الحديث، مثل قصائد بدر شاكر السياب، يمكن ملاحظة استعمال الرمزية والصور الشعرية في نسق لغوي متماسك، ما يعكس استثمار مفهوم اللغة كنظام مستقّل.(26)

إنّ هذا التمييز يتيح للنقاد العرب فهم النصوص بطريقة علمية وموضوعية، ويؤسس لآليات تحليلية دقيقة، مثل دراسة التراكيب اللغوية، التكرار الصوتي، والبنية الداخلية للجملة الشعرية أو النثرية.(27)

ثانياً : البنية والنسق عند النقاد البنيويين

البنية في النقد البنيوي تعني نسقاً داخلياً متكاملاً يمكن تحليله وفهمه من خلال العلاقات بين عناصره. وقد ركز رولان بارت على أن النص هو كائن لغوي مغلق، لا يمكن فهمه إلا عبر دراسة هذه العلاقات، وليس عبر الأحداث السطحية أو السياق الخارجي.(28)

أما النسق والسرديات فقد تناول تزفيتان تودوروف تناول السردية كنسق متكامل يحتوي على عناصر أساسية: الفعل، الفاعل، المكاني، الزمني، والعلاقات بين الأحداث. هذا التطبيق البنيوي يوضح كيف يمكن للنقد أن يفكك النص ويكشف بنيته الداخلية.(29)

فتحليل الرواية العراقية الحديثة، مثل "البحر والصخور" لمحمد خير، يبيّن كيف تتداخل الشخصيات والأحداث ضمن نسق متكامل، يعكس المفاهيم البنيوية.

وفي الشعر، يمكن دراسة نظم عبد الوهاب البياتي وفق البنية الداخلية للأبيات، وربط الصور الشعرية بالنسق الصوتي والدلالي للنص.(30)

أما البنية تسمح للنقاد بفهم النصوص العربية بطريقة علمية دقيقة، بحيث تصبح العلاقات الداخلية بين العناصر محور التحليل، بعيداً عن التفسير التاريخي أو البيئي.(31)

إنّ التحليل الصوتي يركز على دراسة الأصوات وتكرارها في النصوص الشعرية والنثرية، مثل القافية، الجناس، واللعب بالأصوات لإحداث تأثير جمالي.(32)

أما التحليل التركيبي فيهتم ببنية الجملة والعلاقات بين عناصرها، ويكشف عن الإيقاع الداخلي للنص وعلاقته بالمعنى، سواء في الشعر أو النثر.(33)

والتحليل الدلالي يركز على المعنى والعلاقات بين الدال والمدلول، مع دراسة التكرار الرمزي والمجاز في النصوص، وهو ما أتاح للنقاد العرب تحليل الشعر الحديث بكفاءة عالية.(34)

الشعر الفرنسي الحديث: استخدام فاليري للأصوات والصور لخلق نسق مغلق.

الشعر العربي الحديث: قصائد السياب والبياتي تستفيد من التحليل الصوتي والتركيبي لدراسة نسق الصور الشعرية.(35)

أما الوظائف اللغوية عند جاكبسون وأثرها في النقد ،فقد شرح الوظائف الست للغة رومان جاكبسون ميز بين ست وظائف:

1. الوظيفة المرجعية: تعكس الواقع الموضوعي للنص.
2. الوظيفة الانفعالية: تعكس مشاعر المؤلف.
3. الوظيفة الجمالية: تُبرز الطابع الفني للنص.

4. الوظيفة الفاتحة: تركز على التفاعل بين المرسل والمتلقي.
5. الوظيفة التقريرية: تتعلق بالنحو والبنية اللغوية.
6. الوظيفة التعبيرية: دلالات العلامات داخل النص.(36)

فيمكن في الشعر العربي الحديث، تحليل قصائد السياب يظهر الوظيفة الجمالية والانفعالية بوضوح.

وفي النثر الروائي، مثل أعمال صالح علماني، تتجلى الوظائف المرجعية والتقريرية في بناء الأحداث وتسلسلها.(37)

وتُعَدُّ البنيوية من أبرز المناهج النقدية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تبلورت في فرنسا بالدرجة الأولى متأثرة باللسانيات السوسيرية والأنثروبولوجيا الجديدة. تقوم البنيوية على فكرة أن لكل ظاهرة إنسانية، ومنها النص الأدبي، بنية داخلية تتحكم فيها قوانين ثابتة، وأن هذه البنية يمكن تحليلها وفق منهج علمي صارم(38).

وقد ارتبطت نشأة البنيوية بأعمال العالم الأنثروبولوجي كلود ليفي شتراوس الذي طبق مبادئ اللسانيات على دراسة الأساطير والقرابة، معتبراً أن الظواهر الثقافية يمكن فهمها كبنى لغوية(39)

ومن هنا انتقلت البنيوية إلى النقد الأدبي والفلسفة والعلوم الإنسانية، ولم تقتصر البنيوية على استلهام اللسانيات فقط، بل استفادت أيضاً من الأنثروبولوجيا والفلسفة. فقد رأى ليفي شتراوس أن البنية ليست حكراً على اللغة، بل تشمل كل أنماط التفكير الإنساني، وأن الأساطير مثلاً تُفهم كبنية من العلاقات الثنائية المتعارضة (الحياة/الموت، الطبيعة/الثقافة، الذكر/الأنثى)(40).

كما ارتبطت البنيوية بالفلسفة الوضعية الجديدة التي تنظر إلى الظواهر باعتبارها أنساقاً موضوعية قابلة للدراسة العلمية، بعيداً عن الذاتية. ولهذا رفضت البنيوية المناهج التقليدية التي تركز على المؤلف أو التاريخ، واعتبرت النص الأدبي مستقلاً عن هذه المرجعيات(41).

ولقدعرف النقد البنيوي عدة أسماء بارزة في فرنسا، كان لهم أثر واسع في تكوين هذا المنهج:

1. رولان بارت (1915-1980): من أبرز نقاد البنيوية، دعا إلى قراءة النص الأدبي بوصفه نسيجاً من العلامات، وكتب دراسات مهمة مثل مبادئ في علم الأدلة ولذة النص، حيث اعتبر النص فضاءً للقراءة لا للتفسير الأحادي(42).
2. تزفتان تودوروف (1939-2017): اهتم بتحليل الأنواع الأدبية والسردية وفق منظور بنيوي، وكتابه مدخل إلى الأدب العجائبي مثال على تطبيق المناهج البنيوية في دراسة السرد(43).
3. جيرار جنيت (1930-2018): أحد أهم المنظرين للبنيوية السردية، في كتبه مثل خطاب الحكاية وجامع النص، حيث طوّر أدوات دقيقة لتحليل السرد وبنياته الزمنية والسردية(44).

. أ. ج. غريماس (1917-1992): مؤسس المربع السيميائي ونظرية الأدوار السردية، وقد أسهم في تطوير البنيوية نحو السيميائيات (45) .

ويتضح أن البنيوية قامت على أساس لساني أولاً، لكنها سرعان ما توسعت لتشمل مجالات أخرى مثل الأنثروبولوجيا والفلسفة والسرديات. وقد مثّل انتقالها من اللسانيات إلى الأدب تحولاً عميقاً في الدرس النقدي، إذ لم يعد النص مرتبطاً بمؤلفه أو تاريخه، بل صار يُنظر إليه كبنية لغوية مستقلة قابلة للتحليل العلمي.

2. أثر اللسانيات في النقد البنيوي العربي

دخلت البنيوية إلى الساحة النقدية العربية متأخرة نسبيًا مقارنة بظهورها في فرنسا. فقد بدأت تتبلور في النقد العربي منذ أوائل السبعينيات، عبر الترجمة والتأثر بالمناهج الغربية التي كانت في أوج حضورها آنذاك. وقد ساعد على انتشارها السياق

الثقافي العربي الذي كان يبحث عن مناهج جديدة لتحليل الأدب بعيدًا عن التوجهات الأيديولوجية السائدة في النقد الواقعي أو التاريخي(46).

غير أن استقبال البنيوية في العالم العربي لم يكن واحدًا؛ إذ انقسم النقاد بين من انبهر بالمناهج الجديدة وسعى إلى توطينها في الدراسات الأدبية العربية، وبين من اتخذ موقفًا نقديًا حذرًا، رافضًا إقصاء البعد التاريخي والاجتماعي والثقافي للنصوص(47).

دخول البنيوية إلى النقد العربي

1. الترجمة والاحتكاك الثقافي

كان للترجمة الدور الأكبر في نقل البنيوية إلى العربية. فقد تُرجمت منذ السبعينيات أعمال رولان بارت وتودوروف وجنيت وغيرهم. ومن أبرز الترجمات كتاب نظرية الأدب لتودوروف، ومدخل إلى علم الأدلة لبارت، ما أتاح للنقاد العرب الاطلاع المباشر على الجهاز المفاهيمي للبنيوية(48).

كما ساعدت البعثات العلمية إلى فرنسا في هذه المرحلة على نقل البنيوية إلى الجامعات العربية، خاصة في المغرب وتونس ومصر ولبنان، حيث برزت أسماء نقدية حاولت تطبيقها أو التنظير لها(49).

. السياق الفكري العربي

جاء حضور البنيوية في لحظة كان فيها النقد العربي متأثرًا بالواقعية الاشتراكية والمناهج التاريخية والاجتماعية. فوجد بعض النقاد في البنيوية بديلًا علميًا "محايدًا" يركّز على النص ذاته، بعيدًا عن الأيديولوجيا. ولهذا اعتُبرت البنيوية، في بداياتها، نوعًا من التحرر من النزعة التوجيهية للنقد الواقعي(50).

2.أعلام البنيوية في النقد العربي

أ- صلاح فضل

يُعَدّ صلاح فضل من أبرز النقاد الذين قدّموا البنيوية تنظيرًا وتطبيقًا في العالم العربي. ففي كتابه نظرية البنائية في النقد الأدبي (1985) شرح المفاهيم الأساسية للبنيوية مستندًا إلى أعمال بارت وتودوروف وجنيت، وحاول تكييفها مع النصوص العربية. كما طبّق البنيوية في كتابه منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ليوازن بين الاتجاهين الواقعي والبنيوي(51) .

ب- كمال أبو ديب

ركّز كمال أبو ديب على البنية الإيقاعية للشعر العربي، متأثرًا باللسانيات والبنيوية. ففي كتابه في البنية الإيقاعية للشعر العربي (1981)، اعتبر أن الإيقاع ليس مجرد وزن أو موسيقى، بل هو نسق صوتي متكامل يكوّن جزءًا من البنية الداخلية للنص الشعري(52) .

ج- محمد مفتاح

يُعتبر محمد مفتاح من أبرز النقاد الذين سعوا إلى تطوير البنيوية نحو السيميائيات في السياق العربي. ففي كتابه في سيمياء الشعر القديم (1982)، قدّم أدوات تحليلية جديدة لقراءة النصوص الشعرية، محاولًا الجمع بين اللسانيات البنيوية والسيميائيات الحديثة(53).

د- عبد السلام المسدي

أما عبد السلام المسدي فقد لعب دورًا مهمًا في إدخال اللسانيات والبنيوية إلى النقد العربي من خلال كتابه اللسانيات وأسسها المعرفية، حيث عرض المفاهيم اللسانية وكيفية الاستفادة منها في الدراسات الأدبية(54).

أسهم عبد الملك مرتاض بكتاباته في التأسيس للبنيوية الأدبية عربيًا، خاصة في كتابه في نظرية البنائية الأدبية (2000)، حيث قدّم رؤية متعمقة لتطبيق المنهج البنيوي على النصوص السردية العربية(55).

لقد استقبل النقد العربي البنيوية بدايةً من الستينيات والسبعينيات، متأثرًا بالنقد الغربي، وخاصة المدارس الفرنسية. وقد ركز هذا الاستقبال على توظيف مفاهيم اللسانيات السوسيرية في فهم النصوص العربية، مع محاولة تكييفها بما يتلاءم مع خصوصية النص العربي التاريخية والثقافية.(56).

ويعدّ عبد السلام المسدي: أول من قدم شرحاً موسعاً لمفاهيم سوسير وعلاقة البنية بالنص العربي، مشيراً إلى أن النص يجب أن يُدرس كبنية مستقلة.(57) .

كمال أبو ديب: ركز على تحليل النصوص الشعرية وفق البنية الداخلية، مع مراعاة التوازن بين الصوت والدلالة.(58) .

صلاح فضل: تناول العلاقة بين الإيقاع والبنية والدلالة في الشعر والنثر، مطوراً أدوات تحليلية عربية مستوحاة من البنيوية الغربية.(59)

أنّ الاستقبال العربي للبنيوية لم يكن مجرد نقل أعمى، بل تكيف وانتقاء للأدوات الأنسب للنص العربي. فقد ركز النقاد على البنية الصوتية والإيقاعية أكثر من البنية الدلالية في النصوص الشعرية، وذلك لطبيعة الشعر العربي التي تعتمد على الوزن والقافية.(60) .

لعبد السلام المسدي دور في توطين اللسانيات ، فقد ساهم عبد السلام المسدي في تعريف الباحثين العرب بمفاهيم اللسانيات الحديثة مثل: اللغة والكلام، الدال والمدلول، المحور التركيبي والاستبدالي. وقد أكد على أن دراسة النصوص الأدبية لا يمكن أن تكون دقيقة دون استخدام هذه الأدوات.(61)

وفي دراسة نص شعري عربي حديث، استخدم المسدي مفهوم المحور الاستبدالي لتحليل اختيار الكلمات وتأثيرها على بناء المعنى.

كما طبق مفهوم الدال والمدلول على نصوص نثرية لتحديد رمزية الكلمات والعلاقات بين العلامات.(62)

فعند المسدي أن البنيوية العربية ليست مجرد محاكاة للنقد الغربي، بل تجربة تطبيقية تعتمد على اللغة العربية وموروثها الشعري والغنائي، وهو ما جعلها أكثر مرونة وفعالية في التحليل.(63) .

أما مساهمة صلاح فضل في "البنية والإيقاع" فقد عدّ صلاح فضل الإيقاع ليس مجرد عنصر صوتي، بل عنصر بنيوي ودلالي ينسق النص. وقد وسّع تطبيقات البنيوية لتشمل العلاقة بين الإيقاع والصور الشعرية، ما أتاح قراءة النصوص الشعرية العربية بطريقة أكثر عمقًا.(64) .

ومن خلال تحليل أبيات نزار قباني باستخدام مفهوم الإيقاع البنيوي: كيف يُسهم الوزن والقافية في تعزيز المعنى الدلالي للشعر. وتحليل نصوص الجواهري لتوضيح التوازن بين الإيقاع الداخلي والبنية التركيبية للنص.(65)

ولقد ركز صلاح فضل على الإيقاع وذلك من خلال تطوير أدوات نقدية عربية خاصة، تستفيد من البنيوية ولكن مع مراعاة الخصوصية اللغوية العربية، وهو ما يجعل النصوص العربية قابلة للتحليل البنيوي دون تحريف طبيعتها.(66)

أما رؤية كمال أبو ديب ، فقد كانت رؤيته في البنيوية وتحليل النص الشعري من خلال تركيز أبو ديب على البنية الداخلية للنصوص الشعرية، ودرس العلاقة بين الصوت والدلالة، وبين التكرار الرمزي والنسق الداخلي للأبيات.(67)

كما في دراسة ديوان السياب: تحليل البنية الداخلية للأبيات، مع التركيز على تكرار الصور الشعرية وتأثيرها على المعنى العام.

وعند دراسة نصوص بدر شاكر السياب: استخدام المحور التركيبي والاستبدالي لفهم النسق الداخلي للقصيدة.(68)

فرؤية أبو ديب تؤكد أن النقد البنيوي العربي صار أداة قوية لفك النصوص الشعرية والنثرية، مع الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية واللغوية للنصوص.(69)

المبحث الثاني

التطبيق التحليلي للمنهج البنيوي اللساني

إن الحديث عن تطبيق بنيوي على النصوص العربية

1. في الشعر

أ. البنية الإيقاعية: اهتم النقاد العرب بدراسة الإيقاع الشعري كبنية صوتية لها دلالة. فقد رأى كمال أبو ديب أن الإيقاع يتجاوز الوزن ليصبح نسقًا دلاليًا يتشكل من التكرار والتوازي والتناظر(70) .

ب. البنية الصورية: طبّق بعض النقاد البنيويين مفاهيم الدال والمدلول والعلاقات التركيبية على الصور الشعرية، معتبرين أن الصورة ليست انعكاسًا للواقع، بل عنصرًا داخل نسق شعري مغلق(71) .

2. في السرد

أ. البنية الزمنية: استفاد النقاد العرب من تحليلات جنيت للبنية الزمنية في السرد (الترتيب، التواتر، المدة)، وطبقوها على نصوص روائية عربية مثل أعمال نجيب محفوظ والطيب صالح(72) .

ب. البنية السردية: استعان النقاد بنظرية غريماس حول الأدوار السردية (المرسل، المستقبل، الذات، الموضوع، المساعد، المعارض) في تحليل الحكايات الشعبية والروايات العربية، ما أتاح فهماً أعمق لبنية النصوص(73).

. في النقد السيميائي

سعى محمد مفتاح وغيره إلى توسيع البنيوية نحو السيميائيات، من خلال قراءة النصوص العربية بوصفها أنساقًا من العلامات، سواء كانت لغوية أو غير لغوية. وقد حاولوا بذلك تخطي حدود البنيوية التقليدية نحو أفق أوسع(74).

ويتضح أن البنيوية لم تدخل النقد العربي بوصفها نسقًا جاهزًا، بل خضعت لعملية توطين وتأويل. وقد اختلف النقاد في توظيفها بين من اكتفى بالنقل المباشر للمفاهيم الغربية، وبين من حاول تكييفها مع النصوص العربية وسياقها الثقافي. ورغم الانتقادات الموجهة إليها –خاصة لعزلها النص عن سياقه– فإنها مثّلت مرحلة مهمة في تطور النقد العربي، وأسهمت في إدخال أدوات تحليلية جديدة جعلت من النص الأدبي بنية قابلة للتحليل العلمي(75).

نبدأ باختيار النصوص وتحليلها والأنموذجان من شعر بدر شاكر السياب فالنص الأول قصيدة (أنشودة المطر)، والنص الثاني هو قصيدة (غريب على الخليج).

اختيارنا لهذين النصين يأتي من كونهما تمثل مرحلة التحول في الشعر العربي الحديث، حيث بدأ الشعراء يمزجون الرمزية والبنية الداخلية المتماسكة مع الصور الشعرية المعاصرة.(76)

مع نهاية الثمانينيات بدأ النقد العربي يتجاوز البنيوية نحو مناهج أكثر مرونة مثل التفكيكية، التلقي، النقد الثقافي، والسيميائيات. لكن البنيوية ظلت حاضرة كأساس معرفي، إذ لا يمكن فهم هذه المناهج الجديدة دون المرور بالبنيوية. فهي شكلت مرحلة تأسيسية للنقد العربي الحديث(77).

كما أن كثيرًا من الأدوات البنيوية (تحليل الزمن السردي، الأدوار السردية، البنية الإيقاعية) ما تزال تُستخدم حتى اليوم في الدراسات النقدية الجامعية، وإن كانت ضمن مقاربات أكثر شمولًا(78).

يتضح أن البنيوية كانت –ولا تزال– محطة مفصلية في النقد العربي. فهي من جهة أسهمت في تطوير أدوات التحليل النصي، ومن جهة أخرى أثارت إشكالات معرفية حول علاقة النص بسياقه. ورغم تجاوزها في كثير من الدراسات الحديثة، فإن أثرها ما يزال قائمًا، إذ لا يمكن دراسة السيميائيات أو النقد السردي أو حتى النقد الثقافي دون استحضار جذورها البنيوية(79).

التحليل البنيوي

أولاً : قصيدة أنشودة المطر.

ثانيًا: قصيدة غريب على الخليج .

قصيدتا أنشودة المطر وغريب على الخليج تقدمان مثالًا واضحًا على تداخل المستويات اللسانية في بناء النص الشعري.

الأصوات والتكرار ليست محض شكلية، بل تتحول إلى دوال تنتج مدلولات رمزية.

التركيب النحوي يتجلى في التوازي والتكرار، ما يعكس جدلية الحياة/الموت والوطن/الغربة.

الحقول المعجمية تكشف شبكة التضاد الداخلي، وهي أساس البنية النصية عند السياب.

العلامة الشعرية تتحول إلى رمز جماعي يعكس هموم الذات والواقع العربي.

لقد دخل المنهج البنيوي إلى النقد العربي من بوابة اللسانيات الحديثة التي أسّسها فرديناند دي سوسير، عبر مفاهيم: اللغة/الكلام، الدال/المدلول، العلاقات التركيبية/الاستبدالية، وهي المفاهيم التي شكّلت القاعدة النظرية للتحليل النصي البنيوي. وفي النقد العربي تبنى نقاد أمثال صلاح فضل وكمال أبو ديب ومحمد مفتاح هذه الرؤية، مؤكدين أن النص الشعري بنية لغوية مغلقة تتحقق دلالتها من داخلها. وفي هذا السياق، يشكّل شعر بدر شاكر السياب مجالاً خصباً لتطبيق البنيوية، وخاصة قصيدتيه "أنشودة المطر" و*"غريب على الخليج"*، لما تحفلان به من بنيات لغوية وصوتية ورمزية متداخلة. (80) .

أثر اللسانيات في تشكّل المنهج البنيوي العربي

تقوم اللسانيات البنيوية على اعتبار اللغة نظاماً من العلامات، حيث تتحقق الدلالة من خلال العلاقات الداخلية بين مكونات النص، لا من خلال مؤلفه أو سياقه الخارجي.

وقد تبنّى النقاد العرب هذا التصور، فكان تحليل النص الشعري يتم عبر تفكيك مستوياته:

1. الصوتي والإيقاعي.
2. التركيبي والنحوي.
3. الدلالي والرمزي. (81)

أ / التطبيق البنيوي على أنشودة المطر

1. المستوى الصوتي والإيقاعي

تتضح البنية الصوتية في أنشودة المطر من خلال التكرار المكثف لكلمة "مطر"، حيث تتكرر في مواضع متعددة لتعطي النص تماسكًا صوتيًا وإيقاعيًا:

مَطَر ...

مَطَر ...

مَطَر ...

وفي العِرَاقِ جُوعْ

وينثر الغلالَ فيه مَوْسِمُ الحصادْ

لتشبعَ الغِرْبَان والجراد

وتطحن الشّوان والحَجَر

رِحَىً تَدُورُ في الحقول حولها بَشَرْ

مَطَر ...

مَطَر ...
مَطَر ... (82)

هذا التكرار يشكل ما يسميه البنيويون الدال المركزي، وهو العنصر الذي يربط كل أجزاء النص ببعضها. في هذا السياق، يتحول المطر إلى محور صوتي يربط النص بأبعاده الرمزية والدلالية، ويخلق تكرارًا إيقاعيًا متصاعدًا يشبه نداءً داخليًا أو خفقانًا للحياة بعد الخراب.

وكما تبرز الأصوات الرنانة مثل الميم والراء، والتي تحمل طابعًا حزينًا، في انسجام واضح مع المشهد العام للخراب والخصب، وهو ما يعكس قدرة السياب على خلق تضاد صوتي يوازي التناقض الدلالي بين الموت والحياة. إضافة إلى ذلك، يمكن ملاحظة استخدامه لتنوين الأصوات الساكنة والحروف الممدودة لخلق إيقاع داخلي يشد القارئ ويجعله يعيش التجربة الشعرية بشكل حسّي متكامل. (83)

و يبرز السياب اهتمامه بالموسيقى الداخلية للنص من خلال تكرار كلمة "مطر" والحروف الرنانة، كما يظهر في المقطع:

مطر في القلب، مطر على الأطلال
مطر في صمت الليالي، مطر على الرمال
آه... آه... آه... (84).

يتضح هنا تكرار "مطر" كـ دال مركزي، حيث يتحول المطر إلى محور صوتي وإيقاعي ودلالي يربط أجزاء النص ويخلق تماسكًا داخليًا. استخدام الأصوات الممدودة (آه...) يعكس شعور الحنين والانتظار، كما يضفي إيقاعًا متدرجًا يشبه دقات القلب أو تنفس الطبيعة. (85)

تتكرر الأصوات الرنانة مثل الميم والراء، ما يعكس الحزن والحنين إلى الماضي، ويخلق انسجامًا بين الصوت والمعنى، وهو ما يميز شعر السياب ويجعله مثالًا واضحًا على التطبيق البنيوي اللساني في الشعر العربي الحديث.

2. المستوى التركيبي

يعتمد السياب على بنية جملية متوازية تتكرر فيها بعض التركيبات لإبراز جدلية النص:

كَأَنَّ طِفلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أنْ يَنَام :
بِأنَّ أمَّهُ التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ
فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمَّ حِينَ لَجَّ في السُّؤَال
قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. "
لا بدَّ أنْ تَعُودْ. . (86).

التكرار التركيبي لـ"كأن" يشير إلى التوتر بين الواقع والوهم، بين ما هو محسوس وما هو متخيل، وهو ما يعكس جدلية أساسية في النص. هذا التوازي ليس مجرّد تكرار شكلي، بل يخلق إيقاعًا داخليًا يعزز من الانفعال النفسي ويقود القارئ لفهم النص كبنية مترابطة ومنظمة.

كما يمكن ملاحظة أن السياب يستخدم تراكيب جملية قصيرة وطويلة بالتناوب، ما يخلق تنوعًا إيقاعيًا داخليًا يعكس التغيرات المزاجية في النص. فالجمل القصيرة تكثف اللحظة الشعورية، بينما الطويلة تمنح النص الامتداد والتسلسل الدلالي. (87).

2. المستوى التركيبي

يظهر التوازي التركيبي في النص بشكل واضح:

الشمس أجمل... والظلام أجمل...

هذا التوازي يعكس جدلية المقارنة بين الوطن والمنفى، كما يضفي على النص إيقاعًا داخليًا يعكس الصراع النفسي للشاعر بين الحنين والاغتراب.

تكثر في النص الجمل الندائية مثل: "يا غربة الروح في الخليج"، وهو أسلوب يستخدم لإظهار الصراع الداخلي والحنين إلى الوطن. التركيب البنيوي هنا يعكس استدعاء الشاعر للعاطفة المكبوتة عبر نسق لغوي منظم، يظهر أن النص ليس مجرد سرد شعوري، بل بنية لغوية محكمة.(88) .

على المستوى التركيبي، تتسم القصيدة بتكرار التساؤل والاستفهام البلاغي، كما يظهر في:

ماذا قالت الريح؟

ماذا قالت الريح في العتمة الطويلة؟

التكرار التركيبي للفعل "قالت" والاستفهام المستمر يعكس جدلية النص بين الصوت الطبيعي (الريح) والمعنى الرمزي لما تحمله الريح من رسائل أو إشارات. يخلق هذا التوازي التركيبي نسقًا متناغمًا بين الصوت والدلالة، كما يعزز من الإيقاع الداخلي للنص، ويجعل القارئ يعيش حالة تأمل وتوتر مستمرة. (89)

كما يستخدم السياب تراكيب قصيرة وطويلة بالتناوب، ما يخلق تنوعًا إيقاعيًا يعكس تدفق الوعي الشعوري للشاعر. الجمل القصيرة تركز اللحظة الشعورية، بينما الجمل الطويلة تمنح النص الامتداد والتطور الدلالي.

3. المستوى الدلالي

يتجاوز المطر في النص وظيفته الطبيعية ليصبح رمزًا مركزيًا للبنية الدلالية. يتشكل النص حول تضاد بين الحقول الدلالية للخراب والخصب:

الخراب: الموت – الجوع – الفقد

الخصب: المطر – الولادة – النمو

هذا التباين يعكس قدرة السياب على خلق بنية مزدوجة للمعنى، حيث يصبح المطر رمزًا للخلاص والتجدد بعد الموت. تتضح هنا العلاقة بين الصوت والدلالة، فالتكرار الصوتي لـ"مطر" يعزز البنية الدلالية ويجعل الرمز متفردًا، أي أن الصوت والدلالة يعملان معًا لتشكيل بنية نصية متماسكة. (90)

كما يمكن القول إن النص يخلق دائرة مغلقة من التكرار الصوتي والدلالي، مما يمنح النص إحساسًا بالتكامل البنيوي الداخلي، ويجعل القارئ يتفاعل مع النص على مستويات متعددة: الصوتية، الإيقاعية، الدلالية، والنفسية.

ب/ التطبيق البنيوي على غريب على الخليج

1. المستوى الصوتي والإيقاعي

في هذه القصيدة، يستخدم السياب الأصوات الحلقية لتوصيل شعور الغربة والحنين، كما في المقطع:

أيخون إنسانٌ بلادَهْ؟

إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها، والظلامْ

حتى الظلام هناك أجملُ، فهو يحتضن العراق.(91)

تكرار الأصوات الحلقية مثل الحاء والخاء والغين يعطي النص طابعًا حنينيًا مستمرًا، في انسجام مع الإحساس بالاغتراب. القافية الموحدة على "الخاء/الحاء" تنتج إيقاعًا داخليًا ممتدًا، كما أن استخدام السياب للأحرف المتحركة الطويلة يضيف تدفقًا موسيقيًا للنص، ما يعكس تأثير اللسانيات على تحليل الإيقاع الصوتي في الشعر. (92)

يستخدم السياب تكرار الأصوات لتشكيل إيقاع داخلي متصل مع موضوع النص، كما يظهر في المقطع:

ماذا قالت الريح؟

ماذا قالت الريح في العتمة الطويلة؟

آه، آه... آه، آه... (93)

يلاحظ هنا تكرار كلمة "الريح" و"ماذا قالت" كدال مركزي، حيث تتحول الريح إلى محور صوتي وإيقاعي ودلالي للنص. التكرار الصوتي للألف والهاء يعكس حالة التوتر والانتظار، كما أن استخدام المقاطع الصوتية الطويلة "آه، آه" يخلق إيقاعًا متدرجًا يشبه صدى العاطفة الداخلية للشاعر. (94)

تتضافر الأصوات الحلقية والممتدة مع تكرار الحروف الرنانة لتوصيل الشعور بالعزلة والغربة النفسية، ما يعكس قدرة السياب على توظيف الصوت لتعميق البعد الدلالي للنص.

3. المستوى الدلالي

يتحول الخليج في النص من مكان جغرافي إلى رمز للغربة والانفصال عن الوطن، بينما يمثل العراق الأرض الأصلية والانتماء. يظهر ذلك في القصيدة، فالبنية الدلالية للنص تقوم على جدلية الوطن/الغربة، حيث تترابط الرموز الجغرافية مع المشاعر الإنسانية، في تكامل واضح بين الدلالة والصوت والبنية التركيبية للنص. كما يظهر استخدام السياب للحقول الدلالية المزدوجة، كالانفصال/الانتماء، ليخلق جدلية نصية تعكس صراع الذات المغتربة. (95)

يمكن ملاحظة أن السياب يربط بين الصوت والمعنى بشكل دقيق: الأصوات الحلقية تعكس الغربة، التوازي التركيبي يعكس الصراع الداخلي، والحقول الدلالية تؤكد البنية الرمزية للنص. هذا كله يعكس تأثير اللسانيات على المنهج البنيوي، وكيف يمكن قراءة النص الشعري كشبكة مترابطة من العلامات والمعاني، فالريح في هذه القصيدة تتجاوز كونها عنصرًا طبيعيًا لتصبح رمزًا للرسائل والذكريات والعواطف المكبوتة:

الحقول الدلالية المرتبطة بالغياب: العتمة – الصمت – الفراغ.

الحقول الدلالية المرتبطة بالانتظار: الريح – الصدى – الرسالة.

يتشكل النص على جدلية بين الصمت والتواصل، بين الغياب والوجود الرمزي، حيث تعمل الريح كحلقة وصل بين الذات الداخلية للعاطفة والشعور بالعزلة والحنين. (96)

يمكن ملاحظة أن الربط بين التكرار الصوتي والتوازي التركيبي يعزز البنية الدلالية للنص، ويجعل الريح رمزًا مركزيًا للوجود المفقود والمعنى المستتر، ما يعكس تأثير اللسانيات على المنهج البنيوي العربي.

ويتحول المطر في هذه القصيدة إلى رمز مزدوج: رمز للخصب والخلاص، ورمز للحنين إلى الماضي والذكريات:

الحقول الدلالية المرتبطة بالخصب والخلاص: المطر – الحياة – النماء

الحقول الدلالية المرتبطة بالحنين والماضي: الأطلال – الرمال – صمت الليالي

البنية الدلالية للنص تعتمد على التضاد بين الحياة والموت، بين الحاضر والماضي، حيث يعمل المطر كحلقة وصل بين الحنين للخلاص والتجدد، وبين الذاكرة والغياب. (97)

يمكن ملاحظة أن السياب يدمج الصوت والتركيب والدلالة بشكل متكامل، بحيث يعمل تكرار المطر على تعزيز الحقول الدلالية، بينما التوازي التركيبي ينظم النص ويمنحه إيقاعًا داخليًا متناغمًا مع الصدى الصوتي والرمزي للمطر.

2. المستوى التركيبي

يتضح التوازي التركيبي في النص من خلال البناء التكراري للجمل:

مطر في القلب، مطر على الأطلال

مطر في صمت الليالي، مطر على الرمال

التكرار التركيبي للجملة مع تغيير المكمّل يعكس ديناميكية النص، ويظهر جدلية بين الداخل النفسي للشاعر (القلب) والمكان الخارجي (الأطلال، الرمال). هذا التوازي يخلق نسقًا داخليًا من التوتر والتضاد، ويؤكد قدرة السياب على توظيف البنية التركيبية لإنتاج إيقاع داخلي متناغم مع الإيقاع الصوتي. (98)

كما يلاحظ أن السياب يستخدم التوازي الجزئي والتكرار الجزئي، أي تكرار الكلمة المركزية مع تغيير المكمّل، مما يخلق تدرجًا وتنوعًا إيقاعيًا يعكس التغيرات المزاجية والوجدانية في النص.

3. المستوى الدلالي

يتحول المطر في هذه القصيدة إلى رمز مزدوج: رمز للخصب والخلاص، ورمز للحنين إلى الماضي والذكريات:

الحقول الدلالية المرتبطة بالخصب والخلاص: المطر – الحياة – النماء

الحقول الدلالية المرتبطة بالحنين والماضي: الأطلال – الرمال – صمت الليالي

البنية الدلالية للنص تعتمد على التضاد بين الحياة والموت، بين الحاضر والماضي، حيث يعمل المطر كحلقة وصل بين الحنين للخلاص والتجدد، وبين الذاكرة والغياب. (99)

يمكن ملاحظة أن السياب يدمج الصوت والتركيب والدلالة بشكل متكامل، بحيث يعمل تكرار المطر على تعزيز الحقول الدلالية، بينما التوازي التركيبي ينظم النص ويمنحه إيقاعًا داخليًا متناغمًا مع الصدى الصوتي والرمزي للمطر.

وفي هذين النصين يتضح أثر اللسانيات على المنهج البنيوي العربي، إذ يظهر كيف يمكن قراءة النص الشعري كنظام متكامل من العلامات، يعتمد على الصوت، التركيب، والدلالة، ويعكس تجربة السياب في معالجة المواضيع الإنسانية الكبرى: الموت، الغربة،

أنشودة المطر: المطر رمز للخلاص بعد الموت، التكرار الصوتي يعزز البنية الدلالية.

غريب على الخليج: الخليج رمز للغربة والانتماء، التوازي التركيبي يعكس صراع الذات.

ماذا قالت الريح: الريح رمز للرسائل والغياب، التكرار الاستفهامي يعكس التوتر الداخلي.

أغنية المطر: المطر رمز مزدوج للخصب والحنين، والتكرار الصوتي والتركيبي يدعمان البنية الدلالية والنفسية للنص.

الحنين، والخلاص

الخاتمة

يتضح أن اللسانيات لم تكن مجرد إطار لغوي، بل أسّست لرؤية نقدية عربية بنيوية كشفت أن شعر بدر شاكر السياب يقوم على بنى لغوية ودلالية داخلية، تجعل النص كياناً مستقلاً بذاته. فـ"المطر" في القصيدة الأولى يتحول إلى بنية خلاص، فيما يصبح "الخليج" في الثانية رمزاً للغربة. وهكذا يظهر الأثر المباشر للسانيات في بناء منهج نقدي عربي قادر على تحليل النصوص الشعرية الحديثة بصرامة علمية.

ويمكن القول إن البنيوية مثّلت ثورة حقيقية في مجال النقد الأدبي العربي والعالمي على حد سواء. فقد استطاعت أن تُحدث قطيعة إبستمولوجية مع المناهج التقليدية التي انشغلت بالمؤلف أو بالسياق التاريخي، وجعلت النص هو مركز الاهتمام الأول، باعتباره بنية لغوية متماسكة تحكمها قوانين داخلية يمكن كشفها عبر أدوات علمية دقيقة.

ومن أبرز النتائج التي توصّلنا إليها ما يلي:

1. البنيوية منهج علمي دقيق: أسهم في إدخال الصرامة المنهجية إلى النقد الأدبي، وحرّر النص من القراءات الانطباعية التي كانت شائعة.

2. التأثير الحاسم للسانيات: فالمنهج البنيوي ما كان ليأخذ شكله النهائي لولا الأسس التي وضعها فردينان دو سوسير، والتي فتحت المجال أمام النقد الأدبي ليُقرأ كنظام علامات.

3. الإسهام في تطوير تحليل السرد والشعر: فقد مكّنت البنيوية من قراءة جديدة للنصوص، من خلال دراسة الإيقاع في الشعر، والبنى الزمنية والسردية في القصة والرواية.

4 . أثرها في النقد العربي: ورغم ما واجهته من تحديات، فإن البنيوية تركت بصمة واضحة في النقد العربي المعاصر، وأسهمت في إرساء تقاليد أكاديمية جديدة في الجامعات العربية.

ولعل أهم ما يمكن التوصية به في ضوء هذه النتائج هو ضرورة التعامل مع البنيوية بوصفها مرحلة تأسيسية وليست غاية نهائية؛ أي أن يتم الإفادة من أدواتها ومفاهيمها، لكن في إطار مقاربات أكثر شمولاً ومرونة، بحيث يُقرأ النص الأدبي باعتباره بنية لغوية، وفي الوقت ذاته جزءًا من سياق ثقافي واجتماعي وتاريخي أوسع. وهذا ما نجده في مناهج ما بعد البنيوية مثل التفكيكية، السيميائيات، النقد الثقافي، ودراسات التلقي، التي جميعها انطلقت من الأساس البنيوي لكنها تجاوزته نحو أفق أرحب.

المصادروالمراجع:

أبو ديب كمال ، جدلية الخفاء والتجلي ، بيروت: دار العلم للملايين، 1990م

أبو ديب كمال ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العودة، بيروت، 1981م.

بارت رولان ، مقدمة إلى السيميائية، ترجمة: فاضل سليمان، بيروت: دار التنوير، 2010م.

تودوروف تزفيتان ، نظرية السرديات، ترجمة: كمال أبو ديب ، بيروت: دار العلم للملايين، 1986م.

جاكبسون رومان ، وظائف اللغة، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت 1975م.

حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب، القاهرة1985م .

دريدا جاك ، عن الكتابة والاختلاف، ترجمة: محمد عبده، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م.

دي سوسير فردينان، محاضرات في علم اللغة العام، ترجمة: يوسف وغليسي (بيروت: دار الكتاب الجديد، 2000م.

السياب بدر شاكر ، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت 1971م.

عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط/3، دار الفكر العربي ،القاهرة 1978م.

فضل صلاح ، البنية والإيقاع ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

فضل صلاح ، مدخل إلى النقد الحديث، القاهرة: دار الشروق، 2015م.

فضل صلاح ، مناهج النقد المعاصر، القاهرة: دار الشروق، 2015م.

فضل صلاح ، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

فضل صلاح ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985م

مرتاض عبد الملك ، في نظرية البنائية الأدبية، دار هومة، الجزائر، 2000م.

مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 2010م.

مرتاض عبد الملك ، نظرية البنية في النقد الأدبي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

المسدي عبد السلام ، مدخل إلى السيميائية والنقد البنيوي، تونس: دار المعرفة، 2008م.

المسدي عبد السلام ، قضايا اللسانيات، تونس: دار المعرفة، 2008م.

مفتاح محمد ، اللسانيات والنقد الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، 2012م.

مفتاح محمد ، في سيمياء الشعر القديم ، الدار البيضاء: دار توبقال، 1982م.

وغليسي يوسف ، المصطلح النقدي الحديث: دراسة في الأصول والمعاجم والممارسة، دار الغرب، الجزائر، 2007م.

الهوامش

(1).محاضرات في علم اللغة العام، فردينان دي سوسير ترجمة: يوسف وغليسي (بيروت: دار الكتاب الجديد، 2000)، ص 42-45.

(2). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 2010، ص 17.

(3). اللسانيات والنقد الأدبي، محمد مفتاح، بيروت: دار العلم للملايين، 2012، ص 55-59.

(4). مدخل إلى السيميائية والنقد البنيوي، عبد السلام المسدي، تونس: دار المعرفة، 2008، ص 27-31.

(5). مقدمة إلى السيميائية، رولان بارت، ترجمة: فاضل سليمان، بيروت: دار التنوير، 2010، ص 40-42.

(6). عن الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة: محمد عبده، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، ص 18-21

(7). محاضرات في علم اللغة العام، فردينان دي سوسير: 12.

(8). اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة1985م ، ص 41.

(9). نظرية البنية في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، ص 66.

(10). محاضرات في علم اللغة العام، فردينان دي سوسير: 42.

(11). مدخل إلى النقد الحديث، صلاح فضل، القاهرة: دار الشروق، 2015، ص 46.

(12). اللسانيات والنقد الأدبي، محمد مفتاح، بيروت: دار العلم للملايين، 2012، ص 57.

(13). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 2010، ص 22.

(14). مدخل إلى السيميائية والنقد البنيوي، عبد السلام المسدي، تونس: دار المعرفة، 2008، ص 32.

(15). مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، القاهرة: دار الشروق، 2015، ص 48.

(16). اللسانيات والنقد الأدبي محمد مفتاح، ص 60.

(17). في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض : 25.

(18). محاضرات في علم اللغة العام: 42.

(19). مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل:21.

(20). قضايا اللسانيات، عبد السلام المسدي، تونس: دار المعرفة، 2008، ص 13.

(21). مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل : 73.

(22). في سيمياء الشعر القديم ، محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار توبقال، 1982م، ص 58.

(23). البنية والإيقاع ، صلاح فضل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 ، ص 19.

(24). محاضرات في علم اللغة العام: ص 14-18.

(25). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي: 35-38.

(26). اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: 54-58.

(27). نظرية البنية في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض: 78-80.

(28). البنية والنقد ،رولان بارت: 88-95.

(29). نظرية السرديات، تزفيتان تودوروف، ترجمة: كمال أبو ديب ، بيروت: دار العلم للملايين، 1986، ص 40-45.
(30). في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 62-65.
(31). البنية والإيقاع، صلاح فضل: 25-30.
(32) . اللسانيات وأسسها المعرفية ، عبد السلام المسدي:42-45.
(33). المرجع نفسه: 61-65.
(34). في سيمياء الشعر القديم ، محمد مفتاح: 66-70.
(35). نظرية البنية في النقد الأدبي ، عبد الملك مرتاض: 82-85.
(36). وظائف اللغة، رومان جاكبسون، ترجمة: كمال أبو ديب، ص 42-50.
(37) . البنية والإيقاع، صلاح فضل: 35-40.
(38). نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985، ص 19.
(39). في نظرية البنائية الأدبية، عبد الملك مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 33.
(40). في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1982، ص 27.
(41). المصطلح النقدي الحديث: دراسة في الأصول والمعاجم والممارسة، يوسف وغليسي، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص 91.
(42). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي: 102.
(43). منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986، ص 61.
(45). في البنية الإيقاعية للشعر العربي، كمال أبو ديب، دار العودة، بيروت، 1981، ص 22.
(45) .المرجع نفسه: ص 25.
(46). المصطلح النقدي الحديث: دراسة في الأصول والمعاجم والممارسة، يوسف وغليسي: 152.
(47). في نظرية البنائية الأدبية، عبد الملك مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 88.
(48). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي:133.
(49). منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل: 72.
(50). المرجع نفسه: 77.
(51) نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985، ص 41.
(52) في البنية الإيقاعية للشعر العربي، كمال أبو ديب، دار العودة، بيروت، 1981، ص 14.
(53) في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 83.
(54). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي:102.
(55). في نظرية البنائية الأدبية، عبد الملك مرتاض: 93.
(56). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي: 40-45.
(57).المرجع نفسه، ص 48-52.
(58). جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب، بيروت: دار العلم للملايين، 1990، ص 22-30.
(59). البنية والإيقاع، صلاح فضل: 30-38.
(60). اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي: 55-60.
(61). المرجع نفسه، ص 61-65.
(62). المرجع نفسه، ص 66-70.
(63). نظرية البنية في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض: 90-95.
(64). البنية والإيقاع، صلاح فضل: 45-52.
(65). المرجع نفسه، ص 53-60.
(66). المرجع نفسه، ص 61-66.
(67). جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب : 35-42.
(68) المرجع نفسه، ص 43-50.

(69) المرجع نفسه، ص 51-55.
(70) جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب: 63.
(71) المصطلح النقدي الحديث: دراسة في الأصول والمعاجم والممارسة، يوسف وغليسي: 160.
(72) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل: 145.
(73). نظرية البنية في النقد الأدبي، عبد الملك مرتاض: 112.
(74). في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 97.
(75). المصطلح النقدي الحديث: دراسة في الأصول والمعاجم والممارسة، يوسف وغليسي: 165
(76) في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 70-75.
(77). في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 222.
(78). المرجع نفسه: 225.
(79). نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل: 230.
(80). مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل : 113-115.
(82). ديوان بدر شاكر السياب، السياب ، دار العودة، بيروت 1971م ، ص:345.
(83). في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 77..
(84). ديوان بدر شاكر السياب : 428.
(85) . في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 80.
(86) . ديوان بدر شاكر السياب: 346.
(87) . جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب ، : 134..
(88) . جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب : 156.
(89) . جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب: 138.
(90) . الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل: 211.
(91). ديوان بدر شاكر السياب: 401.
(92) . مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل : 142.
(93) . ديوان بدر شاكر السياب: 412..
(94) . في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: 79 .
(95). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل: 224.
(96) . الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل: 218.
(97) . الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل: 219.
(98) . جدلية الخفاء والتجلي ،كمال أبو ديب: 140.
(99). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل: 219.